حرب بكر وتغلب
[حرب البسوس]

وكان السببُ في قتل كُليبِ بن رَبيعة ـ فيما ذكره أبو عُبيدةَ عن مُقاتل الأحول بن سِنَان بن مَرْثَد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مَرْثَد أخي بني قيس[١] بن ثَعْلبةَ ، ونسختُ بعضَه من رواية الكَلْبيّ ، وأخبرنا به محمدُ ابن العباس اليزَيديّ عن عمّه عبيدِ الله عن آبن حَبِيبَ[٢] عن آبن الأعرابيّ عن المفضَّل ، فجمعتُ من روايتهم ما آحتِيجَ إلى ذكره مختصرَ اللفظ كاملَ المعنى ـ أن كُلَيباً كان قد عَزَّ وسادَ في رَبيعة فبغَى بَغياً شديداً ، وكان هو الذي يُنزِلُهم منازلَهم ويُرحِّلُهم ، ولا يَنزِلُون ولا يرحَلُون إلا بأمره . فبلغ من عِزِّه وبغيه أنه آتخذ جِرْوَ كلبٍ[٣] ، فكان إذا نزل منزلاً به كَلأ قذف ذلك الجِرْوَ فيه فَيعْوِي ، فلا يَرعَى أحدٌ ذلك الكلأَ إلا بإذنه ، وكان يَفعل هذا بحِياض الماء ، ٣٥/ فلا يَرِدُها أحدٌ إلا بإذنه أو مَنْ آذَنَ بحَرْبٍ ؛ فضرِب به المثلُ في العزّ فقيل : « أعزُّ من كُلَيبِ وائلٍ » . وكان يَحمِي الصيدَ ، ويقولُ : صيدُ ناحية كذا وكذا

---

(١) قيس بن ثعلبة بن عكابة، من بني بكر بن وائل: جدّ جاهلي، بنوه: سعد، وتيم، وعباد، وضبيعة، بطون منها مشاهير (الأعلام ج ٥ ص ٢٠٥).

(٢) ابن حبيب: (توفي سنة ٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م). هو محمد بن حبيب بن أُمية بن عمرو الهاشمي. بالولاء، أبو جعفر البغدادي من موالي بني العباس: علامة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر. مولده ببغداد ووفاته بسامراء. كان مؤدباً وكتبه صحيحة (الأعلام ج ٦ ص ٧٨).

(٣) كان اسم «كليب» «وائلاً». وسبب تسميته «بكليب كما جاء في كتاب مجمع الأمثال ـ أنه كان عنده كليب ـ تصغير كلب ـ وهو ما عبر عنه هنا بجرو كليب يرمي به، فحيث بلغ عواء هذا الكليب كان حمى لا يرعى. ومن ذلك قيل المثل «أعز من كليب وائل» ثم غلب هذا الاسم عليه حتى ظنوه اسمه (راجع كتاب مجمع الأمثال للميداني).

في جِوَاري ؛ فلا يَصيدُ أحدٌ منه شيئاً ؛ وكان لا يمُرّ بين يديه أحدٌ إذا جلس ، ولا يحتبي أحدٌ في مجلسه غيرهُ ؛ فقتله جَسَّاسُ[1] بنُ مُرَّةَ .

وقال أبو عُبيدةَ : قال أبو بَرْزَةَ القَيْسيّ وهو من ولد عمرو بن مَرْثَد :

وكان كليبُ بنُ ربيعة ليس على الأرض بَكْريّ ولا تَغْلَبِيّ أجار رجلاً ولا بعيراً إلا بإذنه ، ولا يحمي حِمًى إلا بأمره ، وكان إذا حَمَى حِمًى لا يُقْرَبُ ؛ وكان لمُرّةَ بنِ ذُهْلِ بنِ شَيْبان بن ثَعْلبةَ عشرةُ بنينَ جَسَّاسٌ أصغرُهم ، وكانت أختُهم عند كليب . . وقال مُقاتِلٌ وفِرَاسٌ : وأمُّ جسَّاسٍ هَيْلَةُ بنتُ مُنقِذِ بن سليمانَ بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مَنَاةَ ، ثم خلَف عليها سعد[2] ابن ضُبيعةَ بنِ قيس بن ثَعْلَبةَ بعد مرّة بنِ ذُهْل ، فولدتْ له مالكاً وعَوْفاً وثعلبةَ . قال فِراسُ بن خَنْدَق البَسُوسيّ : فهي أُمّنا . وخالة جسَّاس البَسُوس ـ وقال أبو بَرْزَةَ : البَسُوسِيّةُ ـ وهي التي يُقال لها : « أشأمُ من البَسُوسِ »[3] . فجاءت فنزلتْ على ابن اختها جَسّاس فكانت جارةً لبني مُرّة ومعها ابنٌ لها ، ولهم ناقةٌ خوّارةٌ[4] من نَعَم بني سعد ومعها فَصيل .

أخبرني عليّ بنُ سليمان قال قال أبو بَرْزَةَ : وقد كان كُليب قبل

(١) جساس بن مرّة (توفي نحو سنة ٨٥ ق هـ / نحو ٥٣٥ م). هو جساس بن مرّة بن ذهل بن شيبان، من بني بكر بن وائل: شجاع، شاعر من أمراء العرب في الجاهلية. شعره قليل. وهو الذي قتل كليب وائل فكان سبباً لنشوب حرب طاحنة بين بكر وتغلب دامت أربعين سنة، قتل جساس في أواخرها (الأعلام ج ٢ ص ١١٩).

(٢) سعد بن ضبيعة بن قيس، من بني بكر بن وائل، من العدنانية: جدّ جاهلي. قال القلقشندي: كان له من الولد جذيمة وقيس وذهل وعديّ وصعب. وسمي ابن حزم من بنيه، عوفاً وثعلبة ولم يذكر الأولين، ومن نسله أعشى قيس (الأعلام ج ٣ ص ٨٥).

(٣) البسوس: هي بسوس بنت منقذ التميميّة: شاعرة جاهلية. يضرب المثل بشؤمها. وهي خالة جساس بن مرة الشيباني. كانت لها (أو لجارها سعد بن شمس الجرمي) ناقة يقال لها سراب، رآها كليب وائل ترعى في حماه فرمى ضرعها بسهم فحزنت البسوس وقالت شعراً أثار جساس بن مرّة فقتل كليباً. فهاجت حرب بكر وتغلب إبني وائل بسببها أربعين سنة، فقيل: أشأم من البسوس. وعرفت حرب البسوس باسمها. (الأعلام ج ٢ ص ٥١).

(٤) الناقة الخوّارة: الحسنة.

ذلك قال لصاحبته أُختِ جَسّاس : هل تَعْلَمِينَ على الأرض عربيّاً أمنعَ مِنّي ذِمّةً ؟ فسكتت ثم أعاد عليها الثانية فسكتَتْ ثم أعاد عليها الثالثة ، فقالت :
٣٦/ نعم أخي جساسٌ ونَدْمَانُهُ آبن عمّه عمرو المُزْدَلِفُ[١] بنُ أبي رَبيعة بن ذُهْل ابن شَيْبان. وزعم مقاتِل : أن امرأتَه كانت أختَ جَسّاسٍ ، فبينا هي تَغسِلُ رأسَ كليب وتُسَرِّحُه ذاتَ يوم إذ قال : مَنْ أعزُّ وائل ؟ فصمَتَتْ ، فأعاد عليها ؛ فلما أكثر عليها قالت : أَخَوايَ جَسَّاسٌ وهَمَّامٌ ؛ فنزَع رأسَه من يدها وأخذ القوسَ فرمى فصيلَ ناقةِ البَسُوس خالة جَسَّاس وجارة بني مُرّة فقتله ؛ فأغمضُوا على ما فيه وسكتوا على ذلك . ثم لَقِيَ كُليبٌ ابن البَسُوس فقال : ما فعل فصيلُ ناقتِكم ؟ قال : قتلتَه وأخليتَ لنا لبنَ أُمّه ؛ فأغمضوا على هذه أيضاً . ثم إن كليباً أعاد على آمرأته فقال : مَنْ أعزّ وائل ؟ فقالت : أخواي ؛ فأضمرَها وأسرّها في نفسه وسكت ، حتى مَرَّتْ به إبلُ جَسَّاسٍ ، فرأى الناقةَ فأنكرها ، فقال : ما هذه الناقةُ ؟ قالوا : لخالة جَسَّاسٍ ؛ قال : أو قد بلغ من أمر آبن السَّعْديّة أن يُجيرَ عليّ بغير إذني ! إرْمِ ضَرْعَها يا غلامُ . قال فِرَاسٌ : فأخذ القوسَ فرمى ضرعَ الناقة فآختلط دمُها بلبنها ؛ وراحت الرُّعاة على جسّاس فأخبروه بالأمر ؛ فقال : احلُبوا لها مِكيالَيْ لبنٍ بِمحلَبها ولا تَذكُروا لها من هذا شيئاً ؛ ثم أغمضوا عليها أيضاً . قال مُقاتِلٌ : حتى أصابتهم سَمَاءٌ ، فغدا في غِبِّها يَتمطّر[٢] ، وركِب جَسَّاسُ بن مُرّةَ وآبنُ عمه عمرُو بن الحارث ابن ذُهْل ـ وقال أبو بَرْزَةَ : بل عمرو بن أبي رَبيعة ـ وطعن عمروٌ كليباً فحطَم
٣٧/ صُلبَه ؛ وقال أبو بَرْزَةَ : فسكت جَسَّاسٌ ، حتى ظعَن آبنا وائل ؛ فمرّتْ بَكْرُ ابن وائل على نِهْيٍ[٣] يقال له شُبَيثٌ فنفاهم كُليبٌ عنه وقال : لا يذوقون منه

---

(١) المزدلف لقب عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل وهو ابن عم جساس بن مرة، لقّب به لأنه ألقى برمحه في حرب فقال: إزدلفوا إليه، كما قال ابن دريد، أو لاقترابه من الأقران في الحروب وازدلافه إليهم كما نقله ابن حبيب (أنظر القاموس وشرحه مادة زلف).

(٢) يتمطّر: يتنزّه.

(٣) النهي، بالكسر: الغدير.

قطرةً ، ثم مرُّوا على نِهْيٍ آخر يقال له الأحَصُّ فنفاهم عنه وقال : لا يذوقون منه قطرةً ؛ ثم مرّوا على بطن الجَريب[١] فمنعهم إيّاه ؛ فمضَوْا حتى نزلوا الذَّنائب[٢] ، وآتّبعهم كليبٌ وحَيُّه حتى نزلوا عليه ؛ ثم مرّ عليه جَسّاس وهو واقفٌ على غدير الذنائب فقال : طردتَ أهلَنا عن المياه حتى كِدتَ تقتلُهم عطشاً ! فقال كليبٌ : ما منعناهم من ماءٍ إلا ونحن له شاغلون ؛ فمضى جَسّاسٌ ومعه آبنُ عمه المزدلِفُ . وقال بعضُهم : بل جَسّاسٌ ناداه فقال : هذا كفِعلكَ بناقة خالتي ؛ فقال له : أوَ قد ذكرتَها ! أَمَا إني لو وجدتُها في غير إبل مُرّة لاستحللتُ تلك الإبل بها . فعطف عليه جَسّاسٌ فرسَه فطعنه برمح فأنفذَ حِضْنيه[٣] ؛ فلما تَداءمه[٤] الموتُ قال : يا جسّاس آسقِني من الماء ؛ قال : ما عَقَلْتُ آستسقاءكَ الماءَ منذُ ولَدتْكَ أُمُّكَ إلا ساعتَك هذه ! . قال أبو بَرْزة : فعطَف عليه المُزدلف عمرو بن أبي ربيعةَ فآحتّز رأسَه . وأمّا مقاتلٌ فزعم أن عمرو بن الحارث بن ذُهل الذي طعنه فقصَم صُلبَه . [قال] : وفيه يقول مُهلهِلٌ :

---

(١) الجريب: إسم واد عظيم يصبّ في بطن الرّمّة من أرض نجد، قال الأصمعي وهو يذكر نجد الرمة: فضاء وفيه أودية كثيرة ، وتقول العرب عن لسان الرمة:

كل بنيّ أنه يُحسيني إلاّ الجريب إنه يرويني

(ياقوت ج ٢ ص ١٣١).

(٢) الذنائب: ثلاث هضبات بنجد وهي عن يسار فلجة مصعداً إلى مكة. وسوق الذنائب: قرية دون زبيد من أرض اليمن وبه قبر كليب وائل. قال مهلهل يرثي أخاه كليباً:

ألا ليتنا بذي حُسُم أنيري إذا أنت انقضيت فلا تحوري
فإن يك بالذنائب طال ليلي فقد أبكي من الليل القصير
فلو نبش المقابر عن كليب فتخبر بالذنائب أي زير . . .

وقال أبو زياد: الذنائب من الحمى حمى ضرية من غربي الحمى (ياقوت ج ٣ ص ٨).

(٣) الحضن: ما دون الإبط إلى الكشح.

(٤) تداءمه الموت: تزاحم.

قتيلٌ ما قتيلُ المرءِ عمروٍ وجَسَّاسِ بنِ مُرّة ذو ضَريرِ[١]

/٣٨ وقال العباسُ[٢] بن مِرْدَاسٍ السُّلَميّ يُحَذّرُ كُلَيبَ بن عَهْمَةَ السُّلَميّ ثم الظَّفَريّ لما مات حربُ[٣] بنُ أُميةَ وخَنَقتِ الجنُّ مِرداساً وكانوا شركاءَ في القرية[٤] فجحَدهم كُليبٌ حظَّهم منها ـ وسنذكر خبرَ ذلك في آخر هذه الأخبار إن شاء الله تعالى ـ فحذَّره غِبَّ الظلم فقال :

أكليبُ مالكَ كلَّ يوم ظالماً والظلمُ أنكدُ وجهُه مَلعونُ
فآفعَلْ بقومك ما أرادَ بوائلٍ يومَ الغَديرِ سَمِيُّكَ المطعونُ

وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام وهي تُنحَلُ للأعشى :

ونحن قهَرنا تَغلِبَ آبنةَ وائلٍ بقتلِ كُلَيبٍ إذ طغَى وتَخيّلَا[٥]

---

(١) الضرير: الشدّة وذو ضرير هنا: صفة لقتيل.

(٢) العباس بن مرداس: (توفي نحو سنة ١٨ هـ / نحو ٦٣٩ م). هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر، أبو الهيثم: شاعر فارس من سادات قومه. أمه الخنساء الشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قبيل فتح مكة. وكان من المؤلفة قلوبهم. كان ممّن ذم الخمر وحرّمها في الجاهلية. لم يسكن مكة ولا المدينة، وإذا حضر الغزو مع النبي ﷺ لم يلبث أن يعود إلى منازل قومه في بادية البصرة. مات في خلافة عمر (الأعلام ج ٣ ص ٢٦٧).

(٣) حرب بن أمية (توفي سنة ٣٦ ق هـ / ٥٨٨ م). هو حرب بن أمية بن عبد شمس، من قريش، كنيته أبو عمرو. من قضاة العرب في الجاهلية، ومن سادات قومه. وهو جدّ معاوية بن أبي سفيان بن حرب. كان معاصراً لعبد المطلب بن هاشم. وشهد حرب الفجار. وتزعم العرب أن الجن قتلته بثأر حية! مات بالشام. (الأعلام ج ٢ ص ١٧٢).

(٤) القرية: ذكر أبو الفرج «أن حرب بن أمية لما انصرف من حرب عكاظ هو واخوته مرَّ بالقرية وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتفّ لا يرام، فقال له مرداس بن أبي عامر: أما ترى هذا الموضع؟ قال بلى، قال: نعم المزدرع هو، فهل لك أن نكونا شريكين فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزدرعه بعد ذلك؟ قال نعم، فأضرما النار في الغيضة، فلما استطارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كثير ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها، فلم يلبث حرب بن أمية ومرداس ابن أبي عامر أن ماتا، فأما مرداس فدفن بالقرية... (الأغاني ج ٦ وج ٢٠).

(٥) تخيل: تكبّر.

الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ.

شرحه وكتب هوامشه

الأستاذ عبد أ. علي مهنا

الجزء الخامس

طبعة جديدة مصححة ومنقحة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان